ما كان والداي ليقنعا لأولادهما بذلك الحدّ من «العلم» الذي كانت تقدمه مدرسة القرية. وأحوال العائلة المادية ما كانت تتسع لـلإنفاق على ولد واحد في مدرسة داخليّة. فكيف العمل؟

إلّا أنّ الموجّه الأعظم كان يعمل، في غفلة من والدتي ووالدي ومنّا نحن الصغار، ما كان أبعد من أن يخطر لأينا في بال. ففي عاصمة القياصرة الروس التي كنّا نجهل حتى اسمها كانت قد تألّفت جمعية دعيت «الجمعية الأمبراطوية الروسية الفلسطينيّة» غايتها الظاهرة إنعاش الأرثوذكسيّة في الأراضي المقدسة عن طريق التعليم والتربية. وهذه الجمعيّة راحت تفتح المدارس المجانيّة في فلسطين أوّلاً. ثمّ امتـدّت إلى سوريا ثمّ إلى لبنان فما درينا إلّا وفي بسكنتا مدرسة روسيّة ابتدائيّة منظمة أحسن التنظيم ولا يتكلّف الطالب فيها شيئاً. فالكتب والدفاتر والأقلام ـ حتى الصابون والمناشف والأمشاط ـ كانت تقدّم بغير حساب ولوجه الله الكريم.

وهذه المدرسة كان لها أبعد الأثر في توجيه دراستي وبالتالي كل حياتي ـ فيما بعد. وما أنا أسست الجمعية الأمبراطورية الفلسطينيّة ولا أوحيت بتأسيسها لتوجه حياتي. ولا هي كانت تعرف شيئاً عني. فمن ذا الذي وجهها،